حلب الشهباء
في رحلتي ابن جبير وابن بطوطة
دراسة مقارنة

دكتور

عبد الباري محمد الطاهر

استاذ التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية المساعد

كلية دار العلوم – جامعة الفيوم

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

حلب الشهباء
في رحلتي ابن جبير وابن بطوطة
دراسة مقارنة

إعداد : د . عبد الباري محمد الطاهر
أستاذ التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية المساعد

مقدمة :

بسم الله الرحمن الرحيم فاتحة كل خير ، والحمد لله رب العالمين تمام كل نعمة، والصلاة والسلام على معلم الناس الخير محمد ﷺ، ورضي الله عن آل محمد وصحبه ومن تبعهم إلى يوم الدين، وبعد .

فإن "حلب الشهباء" (إحدى المدن السورية) تتزين هذه الأيام ، بعد أن اختيرت لتكون عاصمة الثقافة لعام ٢٠٠٦م ، وقد رأى الباحث أن يسهم بوضع حبة لؤلؤ في جيدها ، استكمالا لهذه الزينة ، وتحقيقا للتواصل الحضاري بين ماضي هذا البلد وحاضره ، واستقراء للتراث العربي والإسلامي بلغة معاصرة ، واستئناسا برحالة أندلسي وآخر مغربي زارا حلب الشهباء في رحلة الحج ، تأكيدا على مدى ما كان عليه علماء الأمس من الدأب والصبر والتجوال في أنحاء الأرض ، ووصف البلاد ذات الأثر في حياتهم وتجوالهم .

وتعد "حلب" من المدن العريقة ذات التاريخ والحضارة ، فتحها المسلمون سنة ست عشرة للهجرة صلحا [1]، أمها الأمراء والشعراء والفقهاء،

---

(١) فتح المسلمون حلب في سنة١٦ هـ = ٦٣٦م بقيادة أبي عبيدة عامر بن الجراح وخالد بن الوليد – رضي الله عنهما – وكان الفاتحون قد دخلوا من باب أنطاكية _ أحد أبواب حلب _ فبني هنالك مسجد عرف فيما بعد بمسجد شعيب ؛ نسبة إلى شعيب بن أبي الحسين الأندلسي الفقيه ، الذي عينه نور الدين زنكي مدرسا للمذهب الشافعي بهذا المسجد ، فنسب إليه .وهي مدينة مزدهرة ، وازدادت ازدهارا في العصر الأموي ثم العصر العباسي،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

=وحكمها في القرن ٤هـ/١٠م بنو حمدان، وبلغت ذروة مجدها في أيام سيف الدولة الحمداني، وكان له فضل كبير في قيادة الحروب التي دارت رحاها بين المسلمين والروم، وقد غزا هؤلاء في عقر ديارهم، في قلب الأناضول، ولكنه غلب على أمره أخيراً، واستطاع نيقفور فوكاس غزو حلب، فخربها تخريبًا شنيعًا وإن لم يتمكن من قلعتها، وقاد كثيرًا من سكانها أسرى حينما غادرها، ثم عاد إليها سيف الدولة فرمَّمها وسكن بها سكان قنسرين عوضًا عن سكانها الأصليين الذين أسرهم الروم. وكان سيف الدولة يكرم الشعراء والكتاب والعلماء، ومن أشهرهم الشاعر أبو فراس الحمداني وأبو الطيب المتنبي.

ثم تناوب الحكم على حلب الفاطميون (العبيديون) في سنة ٤٠٦هـ/ ١٠١٥م والمراداسيون سنة ٤١٥هـ/ ١٠٢٤م، والسلجوقيون سنة ٤٧٥هـ/ ١٠٨٦م. وحين زحف الصليبيون على سوريا واستولوا على أنطاكية سنة ٤٩٢هـ/ ١٠٩٨م سعى رضوان أمير حلب السلجوقي، مع سائر الأمراء المسلمين إلى استعادة أنطاكية فلم يفلح. وقد حاصر الصليبيون حلب مراراً وفرضوا الجزية عليها، ثم استعان الحلبيون بعماد الدين بن زنكي أمير الموصل الذي قبل اعتلاء عرش حلب. ونجت هذه في عهده من الكابوس الصليبي. وخلف نور الدين محمود والده وتكاثرت انتصارات المسلمين على الصليبيين وتمكن جيوش حلب من أسر كثير من رؤوس الصليبيين والروم ومن بينهم بودوان الثاني ملك القدس، ورينودي شاتيون أمير أنطاكية، وجوسلان كونت اديسا (الرها – اروفه).

وحكم حلب بعد وفاة نور الدين ابنه، ثم آلت إلى صلاح الدين الأيوبي الذي وضع أخاه حاكماً عليها، ثم أعطاها إلى ابنه الملك الظاهر غازي. وكان هذا من أعظم ملوكها ومصلحيها، فقد رمَّم أسوارها وحصَّن قلعتها وجعلها مركزاً له ولبلاطه .

وخلف الملك الظاهر ابنه الملك العزيز ثم الملك الناصر الثاني يوسف، وقد استولى المغول في عهد الأخير على حلب بقيادة هولاكو وذلك سنة ٦٥٨هـ/١٢٦٠م. وقد أحرقها هذا وسبى سكانها وتمكن من قلعتها بعد حصارها ووعده باحترامها واحترام من فيها، ولكنه قتل حماتها وخربها .

وخرج المغول من حلب بعد انتصارات المماليك عليهم في عين جالوت وحمص. ورمم الملك الأشرف قلاوون المدينة والقلعة. وما لبث المغول أن عادوا إلى حلب واحتلوها في عهد تيمورلنك سنة ٨٠٤هـ/ ١٤٠١م، وهدموها وأحرقوها ودمروها من جديد، ولكنهم لم يمكثوا فيها طويلاً، فعاد إليها المماليك ورمموها وظلوا فيها إلى عام ٩٢٢هـ/ ١٥١٦م .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ولهـــا جذور تاريخية ضاربة في القدم ، ولعل وصف ابن جبير ثم ابن بطوطة لمدينة حلب عن قرب حين زاراها يعطينا مزيدا من التعرف على شخصيتها ، كواحـــدة مـــن مـــدن الشام . فقد زار الرحالتان (ابن جبير وابن بطوطة) هذه المدينة ، وعايناها ، فوصفاها : وصفا سورها ، وقلعتها ، ومساجدها ، وذكرا بعـــض الأحـــداث المتصلة بها ، واهتما بالجوانب الفكرية والمعمارية فيها ، وتكلما عن بعض فقهائها ، وعلمائها ، وشعرائها، ونقلا بعض ما قاله الشعراء في وصفها .

وفـــي هذه الدراسة يحاول الباحث عرض ما أورده كل من ابن جبير وابـــن بطوطة عن حلب الشهباء في رحلتيهما ، مقارنا بينهما ، ومركزا على الجوانب الفكرية التي تبرز -عبر التاريخ -ذلك التراكم الحضاري الذي جعل مـــن حلب عاصمة للثقافة لعام ٢٠٠٦م ، ثم لبيان مدى تحقيق أدب الرحلات للهدف المنشود منه ، وتأكيد إمكانية جعله مصدرا من مصادر التاريخ .

والله من وراء القصد.

ودخـــلت حلب في حوزة العثمانيين بعد معركة مرج دابق – شمال حلب – وظلت خاضـــعة للعـــثمانيين حـــتى سنة ١٢٤٧هـــ/١٨٣١م، حيث استولى عليها إبراهيم باشا بن محمـــد علي باشا والي مصر. وظلت خاضعة للحكم المصري حتى عام ١٢٥٦هـــ/١٨٤٠م، وعـــاد إليهـــا العـــثمانيون مـــن جديد بمعونة إلى الدول الأوروبية وعلى رأسها إنجلترا وروسيا والنمسا وظلوا فيها إلى آخر الحرب العالمية الأولى. وحينئذ دخلت في حكم الأمير فيصـــل بمســـاعدة الحلفاء، ثم خضعت مع المدن السورية للحكم الفرنسي منذ عام ١٩٢٠م حـــتى عـــام ١٩٤٦م حين نالت سوريا استقلالها راجع : عبد الفتاح رواس قلعة جي: حلب القديمـــة والحديـــثة، ص ٢١ مؤسسة الرسالة دمشق . شذرات الذهب في أخبار من ذهب: عبد الحي بن أحمد العكري الدمشقي (١٠٨٩هـــ) دار الكتب العلمية بيروت، ج ١ص ٢٨ . واليواقيـــت والضـــرب في تاريخ حلب المنسوب إلى إسماعيل أبي الفدا ، تحقيق : محمد كمـــال وفالح البكور ، دار القلم العربي بحلب ، الطبعة الأولى ١٤١٠هـــ ، ١٩٨٩م ، ص ٣٣ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ابن جبير ورحلته :

ابن جبير هو "أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير" الكناني[١] الأندلسي[٢]الشاطبي[٣] البلنسي.[٤] جغرافي عربي.

ولد في بلنسية سنة ٥٤٠هـ = ١١٤٥م، ودرس القرآن، والسنة، والشريعة، والأدب في غرناطة.، ثم أصبح كاتم سر حاكم غرناطة، وألف في تلك الفترة الكثير من الأشعار. ثم ارتحل في سنة ٥٧٨هـ = ١١٨٢-١١٨٣م قاصدا الحج مارا بالإسكندرية، فالقدس، فالمدينة، فمكة، فدمشق، فالموصل، فحلب ، فعكا، فبغداد، ثم عاد سنة ٥٨١هـ = ١١٨٥م عن طريق صقلية . وقد أعطى ابن جبير في أسفاره أوصافا دقيقة للأماكن التي زارها، ودونها في رحلته ، وكان من بين هذه الأماكن (حلب الشهباء)، ثم أتبع هذه الرحلة برحلة ثانية وثالثة. وأما رحلته الثانية فقد دفعه إليها أنباء استرداد بيت المقدس من الصليبيين من قبل السلطان صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٨٣هـ فشرع في هذه الرحلة سنة ٥٨٥هـ وانتهى منها سنة ٥٨٦ هـ. ، وأما رحلته الثالثة فكانت إثر وفاة زوجته ، فقد كان يحبها حبا شديدا ، فدفعه الحزن عليها إلى القيام برحلة ثالثة يروح بها عما ألم به من حزن على فراقها، فخرج من (سبتة) إلى مكة وبقي فيها فترة من الزمن ثم غادرها إلى

---

(١) نسبة إلى قبيلة كنانة .

(٢) نسبة إلى بلاد الأندلس ، وابن جبير ينحدر من أسرة عربية عريقة سكنت الأندلس عام ١٢٣هـ ، قادمة من المشرق مع القائد المشهور بَلْج بن بشر بن عياض .

(٣) نسبة إلى الشاطبة ، وهي : مدينة كبيرة قديمة في شرقي الأندلس وشرقي قرطبة، خرج منها خلق من الفضلاء، ويعمل الكاغد الجيد فيها(الحموي : معجم البلدان)

(٤) نسبة إلى بلنسبة ، وهي : مدينة مشهورة بالأندلس ، ذات أشجار وانهار، وأهلها يسمون عرب الأندلس،تنسب إليها جماعة وافرة من أهل العلم بكل فن(الحموي، معجم البلدان) .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بيت المقدس والقاهرة والإسكندرية، حيث توفي فيها سنة ٦١٤هـ= ١٢١٧م. وكان ابن جبير أديباً شاعراً (١).

بدأ ابن جبير رحلته بقوله :" بسم الله الرحمن الرحيم اللهم صل على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تذكره بالأخبار عن اتفاقات الأسفار ابتدئ بتقييدها يوم الجمعة الموفى ثلاثين لشهر شوال سنة ثمان وسبعين وخمسمائة على متن البحر بمقابلة جبل شلير عرفنا الله السلامة بمنه . وكان انفصال احمد بن حسان ومحمد بن جبير من غرناطة حرسها الله للنية الحجازية المباركة قرنها الله بالتيسير والتسهيل وتعريف الصنع الجميل"(٢).

ابن بطوطة ورحلته :

ابن بطوطة : هو أبو عبد الله " محمد بن عبد الله بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم ابن يوسف اللوائي الطنجي [3]، المعروف بابن بطوطة"[4] .

---

(١) لابن جبير ديوان شعر يسمى " نظم الجمان في التشكي من إخوان الزمان " ، كما له كتاب آخر بعنوان "نتيجة وجد الجوانح في تأبين القرين الصالح " . وهذا نموذج رائع من شعره ، من قصيدته التي مدح بها السلطان صلاح الدين ، يهنئه فيها بفتح بيت المقدس ، وفيها يقول:

ثأرت لدين الهدى في العدا	فآثرك الله من ثائر
وقمت بنصر إله الورى	فسماك بالملك الناصر
فتحت المقدس من أرضه	فعادت إلى وصفها الطاهر
وأعليت فيه منار الهدى	وأحييت من رسمه الداثر.

(٢) رحلة ابن جبير : محمد بن أحمد بن جبير الأندلسي أبو الحسين(٦١٤هـ)، دار الكتاب اللبناني ، دار الكتاب المصري، بيروت ، مصر ج: ١ ص: ٤١.

(٣) نسبة إلى مدينة طنجة المغربية ..

(٤) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة:لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن أحمد (٨٥٢هـ) ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، حيدر أباد – الهند،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ولـد أبـو عبد الله "ابن بطوطة" في مدينة طنجة في يوم الإثنين ١٧ رجـب سـنة ٧٠٣ هـ = ٢٤ فبراير سنة ١٣٠٤ م ، لعائلة يعمل أهلها في القضـاء . لهـذا ارتبطت نشأته بتعلم الشريعة الإسلامية ، وكان ابن بطوطة مفطـورًا عـلى حب الرحلة والسفر والتجوال، ولما بلغ سن الثانية والعشرين مـن عمره رحل لأداء فريضة الحج سنة ٧٢٥هـ ، وقد استغرقت رحلته هذه نحو الثلاثين عاما ، قطع خلالها حوالي (٧٥) ألف ميل تقريبا ، شملت نحـو (٤٤) دولة حاليا ، زار ابن بطوطة خلالها شمال أفريقيا والشام والحجاز . ثم خـرج يستكشـف باقي بلدان الشرق ، فذهب إلى فارس وبلاد الرافدين وآسيا الصـغرى. ووصل إلى شبه القارة الهندية وأمضى هناك قرابة عقد في بلاط سـلطان دلهي الذي أرسله سفيراً له إلى الصين [1]. وكان لمدينة حلب نصيب من هذه الرحلة التي حدد ابن بطوطة سببها الأساس وهو الحج[2].

=الطـبعة الـثانية سنة ١٩٧٢تحقيق : د.محمد عبد المعيد خان ، ج: ٥ ص: ٢٢٧ ترجمة رقم١٢٨٥.

(١) الـدرر الكامـنة ج: ٥ ص: ٢٢٧ تـرجمة رقم ١٢٨٥. وراجع تفاصيل الرحلة عند المـرحوم الدكتور إبراهيم العدوي في كتابه : ابن بطوطة في العالم الإسلامي ، سلسلة اقرأ العدد ١٤٤ ، ١٥ ديسمبر ١٩٨٣م ، الطبعة الثالثة دار المعارف بالقاهرة .

(٢) رحـلة ابـن بطوطـة المعـروف بـ " تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسـفار" طـبعة سـنة ١٤٠٥هـ مؤسسة الرسالة، بيروت ،تحقيق : د. علي المنتصر الكـتاني، الطبعة التي بين أيدينا هي الطبعة الرابعة. قال في مفدمتها (ج: ١ ص: ٣٠) :" كـان خروجي من طنجة مسقط رأسي في يوم الخميس الثاني من شهر الله رجب الفرد عام خمسـة وعشرين وسبعمائة ، معتمدا حج بيت الله الحرام ، وزيارة قبر الرسول عليه أفضل الصـلاة والسلام ، منفردا عن رفيق آنس بصحبته ، وراكب أكون في جملته ؛ لباعث على الـنفس شـديد العزائم ، وشوق إلى تلك المعاهد الشريفة كامن في الحيازم ، فحزمت أمري عـلى هجر الأحباب ، من الإناث والذكور ، وفارقت وطني مفارقة الطيور للوكور ، وكان والـداي بقيـد الحيـاة ، فتحملت لبعدهما وصبا ، ولقيت كما لقيا من الفراق نصبا ، وسني يومئذ ثنتان وعشرون سنة ".

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وأخيـــرا عاد ابن بطوطة إلى مدينة فاس في المغرب. ليسجل تفاصيل رحلـــته في كتابه " تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار" ، ولم يخـــرج مـــن بلده ، حيث تقدم به العمر ، فعمل في القضاء ، وواصل نشر ما اكتســـبه مـــن حكمة خلال أسفاره. وتوفي ابن بطوطة سنة ٧٧٩هـــ عن عمر ناهـــز الســـبعين . وقـــد اتســـمت رحلة ابن بطوطة بعدة سمات ، لعل من أبرزها: طولها ، حيث تعد أطول رحلة في العالم في ذلك الوقت ، فضلا عن دقـــة الملاحظـــة التي جعلت مادة هذه الرحلة ثرة ، وكذلك عمق الرؤية التي اتسم بها ابن بطوطة ، مع كثرة الأحداث ، وغزارة المعلومات، كل هذا جعل لهذه الرحلة قيمة علمية وأدبية وتاريخية بالغة .

تسمية "حلب" بين ابن جبير و ابن بطوطة:

تطـــرق ابـــن جبير لتسمية "حلب" بهذا الاسم وهو يتكلم عن قلعتها ، فقـــال : " إن من شرف هذه القلعة أنه يذكر أنها كانت قديما في الزمان الأول ربـــوة يأوي إليها إبراهيم الخليل عليه وعلى نبينا الصلاة والتسليم بغنيمات له فيحلبها هناك ويتصدق بلبنها فلذلك سميت حلب . والله أعلم "[١] .

وقال ابن بطوطة : "ويقال في مدينة حلب : حلب إبراهيم لأن الخليل صلوات الله وسلامه على نبينا وعليه كان يسكنها وكانت له الغنم الكثيرة فكان يســـقي الفقـــراء والمساكين والوارد والصادر من ألبانها ، فكانوا يجتمعون ، ويسألون :حلب إبراهيم ؟ فسميت بذلك "[٢] .

فابن جبير هنا يبيـــن سبب التسمية غير أنه احترز لما يقول بأمرين ، الأول : فـــي صـــيغة المبـــني للمجهول (يـــُذكر) ، والثاني : في قوله (والله أعـــلم). أما ابن بطوطة فاكتفى بصيغة المبني للمجهول (يـــُقال) . وواضح أن

---

(١) رحلة ابن جبير ج ١ ص ١٧٨ .

(٢) رحلة ابن بطوطة ج ١ ص ٨٨ ..

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الاثـــنين تشككا في هذه التسمية فصيغة المبني للمجهول تدل على الضعف في تصديق الأمر .

ولا يمـــلك الـــباحث أي دليل تاريخي يؤكد صحة ما أورده ابن جبير وابـــن بطوطـــة حـــول هذه التسمية التي لم تقنعهما ، فاستخدما صيغة المبني للمجهول للإخبار عنها [١].

وقد وردت أسباب أخرى لتسمية حلب بهذا الاسم ، بعضها تاريخي أو أثـــري ، وبعضـــها لغـــوي ، وفيما يلي عرض موجز لأبرز ما ورد في هذا الشأن :

(١) تنسب حلب إلى اسم من بناها ، وهو "حلب بن المهر بن حيص بن عمليق من العمالقة"[٢]، ولا يملك الباحث أي دليل على ذلك .

(٢) وردت حـــلب في عدد كبير من النصوص الأثرية، ففي لارسا واســـمها الآن سنكرة أَثَران – يرجع عهدهما إلى ٢٠٣٦ – ٢٠٤٧ ق.م جاء فـــي الأول: "إلى عشتار الحلبية أناوردسين ملك لارسا"، وجاء في الثاني "إلى عشـــتار الحلـــبية: ابـــنة البكر"، والرقم الأثرية تذكر حلب بأسماء متقاربة في الـــلفظ: ففـــي الآثار المصرية تذكر باسم "حلُبُو" و "حلب كو" و "حِللبون" وفي الآثار الحيثية تذكر باسم "حلب" و "حلباس" و "حالا اب".. إلخ[٣].

(٣) مدلـــول كلمة (حلب) لا يخرج عن كونه مكان التألب والتجمع أو مكـــان القلب وعلى هذا تكون الكلمة: إما مركبة من كلمتين: (حـــل) وتعني

---

(١) جـــاء فـــي كتاب اليواقيت والضرب في تاريخ حلب المنسوب إلى إسماعيل أبي الفدا ، تحقيـــق : محمد كمال وفالح البكور ، دار القلم العربي بحلب ، الطبعة الأولى ١٤١٠هـــ ، ١٩٨٩م ، ص ٢٢ ، ٢٣ ما يفيد أن اسم حلب عربي وأنه كان لقبا لتل قلعتها ، وأنه يرجع إلى ما قيل من أن إبراهيم عليه السلام كان يحلب أغنامه في هذا المكان ..

(٢) اليواقيت والضرب في تاريخ حلب ص ٢٣ .

(٣) راجع : عامر رشيد مبيض : أوراق الذهب فيما كتب عن حلب، دار غار حراء .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

زمن دخول "حلب"بين ابن جبير وابن بطوطة :

ذكـــر ابن جبير موعد دخوله (حلب) بشكل مفصل ، فقال : " ووصلنا مديـــنة حـــلب ضحوة يوم الأحد الثالث عشر لربيع الأول والرابع والعشرين ليونيـــه"[١] غيـــر أنه لم يورد العام الذي دخل فيه ، ومن المؤكد أنه عام ٥٧٩ هـــ؛ حيث وافق يوم ١٣ ريسغ الأول لهذا العام يوم ٢٤ يونية لسنة ١١٨٢م.

أمـــا ابن بطوطة فإنه وضع عنوانا لرحلة حلب ، فقال : "من عسقلان إلى حلب "[٢] ثم قال : "ثم سافرت منها إلى مدينة الرملة وهي فلسطين) ، (ثم خرجت منها إلى مدينة نابلس) ، (ثم سافرت منها إلى مدينة عجلون) ، (ثم سافرت منها بقصد اللاذقية فمررت بالغور) ،(ثم وصلنا إلى القصير وبه قـــبر معاذ بن جبل رضي الله عنه وتبركت أيضا بزيارته) ، (ثم سافرت على الســـاحل فوصلت إلى مدينة عكة) ، (ثم سافرت منها إلى مدينة صور) ،(ثم ســـافرت مـــنها إلى مدينة صيدا) ، (ثم سافرت منها إلى مدينة طبرية) ، (ثم ســـرنا إلى مديـــنة بيروت) ،(ثم وصلت إلى مدينة طرابلس) ، (ثم سافرت إلى مديـــنة حمـــص) ، (سافرت منها إلى مدينة حماة) ، (ثم سافر إلى مدينة الشعراء المعرة التي ينسب إليها الشاعر أبو العلاء المعري) ، (ثم سرنا منها إلى مدينة سرمين) [٣]. فلما بلغ حلب قال : "ثم سرنا إلى مدينة حلب"[٤] .

ويتضح من ذلك أن ابن جبير كان أكثر دقة من ابن بطوطة في تحديد زمـــن دخوله حلب ، فقد عرض ابن جبير الزمان الذي وصل فيه مدينة حلب بالساعة واليوم والشهر ، ولم يفعل ذلك ابن بطوطة .

---

(١) رحلة ابن جبير ج: ١ ص: ١٧٧.

(٢) رحلة ابن بطوطة ج: ١ ص: ٨٠ .

(٣) رحلة ابن بطوطة ج: ١ ص: ٨١ : ٨٥ ..

(٤) رحلة ابن بطوطة ج: ١ ص: ٨٧ ..

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

نزول القوم بمحلَّة، وهو نقيض الارتحال ، ولها المدلول نفسه في العبرية إذا أبدلت اللام نونًا ، وهو إبدال معروف في العربية وسائر اللغات السامية، وفي البابلية لفظة قريبة من حل هي "إلى" وتعني المدينة، ومثلها في الأكدية "الو" وفي اللفظتين أبدلت الحاء بالهزة. و(**لب**) وتعني التألب والتجمع، والقلب، وقد وردت في العبرية والسريانية والأكدية بمعنى القلب . وعلى هذا يكون معنى حلب هو مكان التجمع والتألب أو مكان القلب، وكانت حلب مكان القلب والتجمع بين ماري وإيبلا وكركميش ومابوغ واوغاريت واراساوكانس وأراباد، وكانت المركز الديني الأول وقبلة المدن الأخرى بمعبودها الشهير الإله حدد، والمركز التجاري الأكثر أهمية.

أو أنها تحمل معناها وتركيبها الأصلي فقد جاء في القاموس المحيط: حلَبَ القوم حَلْبًا وحلوبًا اجتمعوا من كل وجه. وقاموس اللغات العربية القديمة (السامية) غير منقطع عن قاموسها الجديد، وعلى هذا تكون أيضاً بمعنى التجمع فهي الواسطة بين مخاضات الفرات والبحر، وبين ممرات طوروس وجنوبي سورية وطريق مصر [١] .

(٤) إن أقدم ذكر لحلب يعود إلى ما قبل القرن الخامس والعشرين قبل الميلاد، وفي عهد ريموش بن سارغون الآكدي ٢٥٣٠ – ٢٥١٥ ق.م، مؤسس أول إمبراطورية سامية في الشرق، لقد استولى ريموش على حلب وأسر ملكها أوشومكال، وكانت حلب آنذاك مدينة مزدهرة قوية [٢] .

---

(١) راجع : عبد الفتاح رواس قلعة جي: حلب القديمة والحديثة، ص ٢١ مؤسسة الرسالة دمشق .

(٢) راجع : عبد الفتاح رواس قلعة جي: حلب القديمة والحديثة، ص ٢٥ مؤسسة الرسالة دمشق .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وإذا كان ابن بطوطة قد صدر للكلام عن (حلب) بعنوان : "من عسقلان إلى حلب" [١] ، ثم بعد أكثر من ست صفحات ذكر عنوان " مدينة حلب " [٢] ، واكتفى بقوله " ثم سرنا إلى مدينة حلب"[٣]، ثم انتقل إلى وصفها بما وصفها ابن جبير ، فإن ابن جبير جعل عنوانه "ذكر مدينة حلب حرسها الله تعالى [٤] ، ووصف دخوله لها بالتفصيل ، فقال لما وصل قرية الباب وهي بين بزاعة وحلب : " فأقمنا بها يوم السبت ببطحاء هذه البلدة مريحين ، ورحلنا منها في الليل ، وأسرينا إلى الصباح ، ووصلنا مدينة حلب ضحوة يوم الأحد الثالث عشر لربيع الأول والرابع والعشرين ليونية " [٥] ، يعني سنة ٥٧٩هـ = ١١٨٣م . ويتضح من ذلك الحالة النفسية التي دخل بها ابن جبير حلب ، فهو هادئ النفس، دخل في بداية يومه ، لذلك كان وصفه واضحا ومحددا ، ولم نلحظ ذلك عند ابن بطوطة .

وصف حلب ومكانتها بين ابن جبير وابن بطوطة :

على الرغم من أن ابن بطوطة نقل وصفه لمدينة حلب عن ابن جبير إلا أنه ترك بعض العبارات ، وغير بعضها الآخر ، ونعرض هنا لنص ابن بطوطة الذي في مقدمته :" قال أبو الحسين بن جبير في وصفها... " ، فهو بهذا يكفينا عرض النصين ، غير أن الباحث مضطر لإثبات بعض الفروق بين ما قاله ابن بطوطة وبين ما جاء في رحلة ابن جبير التي بين أيدينا ؛ تحقيقا للمقارنة المقصودة من هذا البحث .

---

(١) السابق

(٢) السابق .

(٣) رحلة ابن بطوطة ج ١ ص ٨٧ .

(٤) رحلة ابن جبير ص ٢٢٥.

(٥) رحلة ابن جبير ص ٢٢٥.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قـــال ابـــن بطوطـــة : "قال أبو الحسين بن جبير في وصفها : قدرها خطير ، وذكرها في كل زمان يطير ، خطابها من الملوك كثير ، ومحلها من (النفوس)[١] أثير ، فكم هاجت من كفاح ، وسل عليها من بيض الصفاح ، لها قـــلعة شهيرة الامتناع ، بائنة الارتفاع ، [معدومة الشبه والنظير في القلاع][٢] تـــنزهت حصـــانة (مـــن)[٣] أن ترام أو تستطاع ، [قاعدة كبيرة ، ومائدة من الأرض مســـتديرة][٤]،مـــنحوتة (الأجـــزاء)[٥]، موضوعة على نسبة اعتدال واستواء ، [فسبحان من أحكم تقديرها وتدبيرها ، وأبدع كيف شاء تصويرها ، عـــتيقة فـــي الأزل ، حديـــثة وإن لـــم تزل][٦] ، قد طاولت الأيام والأعوام ، وشـــيعت الخـــواص والعـــوام ، [هـــذه منازلها وديارها ، فأين سكانها قديما وعمارهـــا؟ وتـــلك دار مملكـــتها وفِناؤها؟!فـــــ][٧] أين أمراؤها الحمدانيون وشـــعراؤها ؟! [أجل][٨] ، فني جميعهم ، (ولم يبق إلا بناؤها)[٩] !! فيا عجبا لـــبلاد تبقى (ويذهب ملاكها)[١٠] !! ويهلكون ولا يقضى هلاكها !! ، (و)[١١] تخطب بعدهم فلا يتعذر (أملاكها)[١٢] !! ، وترام فيتيسر بأهون شيء إدراكها

---

(١) في رحلة ابن جبير ص ٢٢٥: (التقديس) . ومعنى الأثير : المفضل والمكرم .

(٢) زيادة من رحلة ابن جبير ص ٢٢٥.

(٣) زيادة ليست في رحلة ابن جبير ص ٢٢٥.

(٤) زيادة من رحلة ابن جبير ص ٢٢٥.

(٥) في رحلة ابن جبير ص ٢٢٥: (الأرجاء) .

(٦) زيادة من رحلة ابن جبير ص ٢٢٥.

(٧) زيادة من رحلة ابن جبير ص ٢٢٥.

(٨) زيادة من رحلة ابن جبير ص ٢٢٥.

(٩) في رحلة ابن جبير ص ٢٢٥.: (ولم يأن بعد فناؤها)

(١٠) في رحلة ابن جبير ص ٢٢٥ : (وتذهب أملاكها) .

(١١) ليست في رحلة ابن جبير ص ٢٢٥.

(١٢) في رحلة ابن جبير ص ٢٢٥ : (مِـــلاكها) أي الزواج منها .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

!! ، هـذه حلب كم أدخلت ملوكها في خبر كان ، ونسخت (صرف)[1] الزمان بالمكـان ، أنث اسمها فتحلت بحلية الغوان ، (وأتـت بالعـذر فيمن دان)[2]، وتجلت عروسا بعد سيف دولتها ابن حمدان ، هيهات![هيهات!][3]، (سيهزم)[4] شـبابها ، ويعـدم خطابها ، ويسرع فيها بعد حين خرابها ، [وتتطرق جنبات الحـوادث إليهـا، حتى يرث الله الأرض ومن عليها ، لا إله سواه ، سبحانه جلت قدرته] [5]" [6].

ويتضح من هذا النص عدة أمور :

أولا : ترك ابن بطوطة بعض عبارات ابن جبير ، دون إشارة إليها ، مـثل : [معدومـة الشـبه والـنظير في القلاع] . و[قاعدة كبيرة ، ومائدة من الأرض مسـتديرة] . و [فسبحان من أحكم تقديرها وتدبيرها ، وأبدع كيف شاء تصـويرها ، عتيقة في الأزل ، حديثة وإن لم تزل] . و[هذه منازلها وديارها ، فأين سكانها قديما وعمارها؟ وتلك دار مملكتها وفِناؤها؟!فـــ] . و[وتتطرق جنـبات الحـوادث إليها ، حتى يرث الله الأرض ومن عليها ، لا إله سواه ، سبحانه جلت قدرته] .

ولعـل بعـض هـذه العبارات يعد تأكيدا للعبارة السابقة ، وإن كنا لا نعذر ابن بطوطة لتركه لها ، تحقيقا لأمانة النقل ، إلا أن يكون ابن بطوطة قد اطلع على نسخة أخرى غير التي بين أيدينا .

---

(١) في رحلة ابن جبير ص ٢٢٥: (ظرف) .

(٢) في رحلة ابن جبير ص ٢٢٦ : (ودانت بالغدر فيمن خان) .

(٣) زيادة من رحلة ابن جبير ص ٢٢٦.

(٤) في رحلة ابن جبير ص ٢٢٦ : (سيهرم) .

(٥) زيادة من رحلة ابن جبير ص ٢٢٦.

(٦) رحلة ابن بطوطو ج ١ ص ٨٧ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ثانيـا : غيـر ابـن بطوطة بعض العبارات بعبارات أخرى ، مثل : (ويذهـب ملاكها)بدلا من (وتذهب أملاكها) . و(وأتـت بالعـذر فيمن دان) بدلا من (ودانت بالغدر فيمن خان) .

ولعـل ابـن بطوطة أراد تخفيف حدة عبارة ابن جبير ، أو ربما كان ذلك تصحيفا من النساخ .

ثالـثا : غير ابن بطوطة بعض الكلمات بكلمات أخرى مشابهة لها ، مـثل : (الـنفوس) بـدلا مـن (الـتقديس) . و(الأجزاء) بدلا من الأرجاء . و(أملاكهـا) بـدلا من (ملاكها) . و(صرف) بدلا من (ظرف). و(سيهزم) بدلا مـن (سيهرم) ، وهي كلمات متقاربة في المعنى ، غير أن ما أورده ابن جبير يعد أقوى في بيان المقصود ، وأقرب لسياقه اللغوي .

رابعا : ترك ابن بطوطة بعض الكلمات دون إشارة لها ، مثل : كلمة **هيهـات** ! ، حيث كررها ابن جبير ولم يكررها ابن بطوطة ، مع أن التكرار لهـذه الكلمة يفيد في تأكيد المعنى .وكلمة **[أجل]**التي أوردها ابن جبير وتركها ابن بطوطة مع أهميتها البلاغية في إبراز المعنى المقصود .

خامسا : زاد ابن بطوطة بعض الحروف عن ابن جبير ، مثل : زيادة حـرف (مـن) ، في قوله (تنزهت حصانة من أن ترام أو تستطاع) ، وكذلك زيـادة حـرف الواو في قوله: ﴿وتخطب بعدهم) ، مع أن زيادة (من) لم يفد الجملة كثيرا ، في حين أن زيادة حرف الواو حول الجملة من مفسرة لما قبلها إلى جملة معطوفة على ما قبلها .

سادسـا : لقد دخل كل من ابن جبير وابن بطوطة مدينة حلب ، وبين ابـن بطوطة من خلال كلام ابن جبير قدر هذه المدينة ، ومحلها من النفوس ، وأشار إلى بقائها وذهاب كل من ارتبط بها . وقد عد ابن بطوطة حسن ترتيب (حـلب) وعمـرانها واتساقها من دلائل عزها ، فقال : " وهي من أعز البلاد

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الـــتي لا نظيـــر لها في حسن الوضع وإتقان الترتيب واتساع الأسواق وانتظام بعضها ببعض ، وأسواقها مسقفة بالخشب فأهلها دائما في عمل ممدود " [1].

ســـابعا : نـــحى ابن جبير وتبعه ابن بطوطة منحى فلسفيا ، مبينا أن حـــلب الشـــهباء كغيـــرها من بلاد الدنيا تزهو وتزدهر ، ثم تصل إلى مرحلة الشيخوخة والهرم ، وتخرب بعد تعميرها ، حين قال ابن بطوطة نقلا عن ابن جـــبير : " هيهـــات[2] سيهزم[3] شبابها، ويعدم خطابها، ويسرع فيها بعد حين خرابها"[4]. وهذه فكرة فلسفية قد ترتبط بطبيعة كل ما سوى الله تعالى ؛ لقوله تعـــالى (كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ . وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْأِكْرَامِ) (الرحمن : ٢٦ :٢٧).

ونقـــل ابن بطوطة عن ابن جبير قوله:" أُنث اسمها فتحلت (بحلية)[٥] الغـــوان ، وأتـــت بالعذر فيمن دان [٦]، وتجلت عروسا بعد سيف دولتها ابن حمدان[٧]. وهي محاولة فلسفية لبيان ما تشير إليه هذه التسمية . ومع هذا فهي بصيغة المبني للمجهول أيضا في الفعل (أُنث) .

---

(١)رحـــلة ابن بطوطة ج: ١ ص: ٨٨ . قال في معجم البلدان ج: ٢ ص: ٢٨٢ : "حلب ، بالتحريك مدينة عظيمة واسعة كثيرة الخيرات طيبة الهواء صحيحة الأديم والماء .

(٢) عند ابن جبير ج ١ ص ١٧٨ (هيهات هيهات) .

(٣) عند ابن جبير ج ١ ص ١٧٨ (سيهرم) .

(٤) رحلة ابن بطوطة ج: ١ ص: ٨٧.

(٥) عند ابن جبير ج ١ ص ١٧٨ (بزينة) .

(٦) عند ابن جبير ج ١ ص ١٧٨ (ودانت بالغدر فيمن خان) .

(٧) رحلة ابن بطوطة ج: ١ ص: ٨٧. ويشير ابن بطوطة إلى سيف الدولة الحمداني الذي مـــلك حـــلب ، وازدانـــت في عهده بالعلم والأدب (بغية الطلب في تاريخ حلب لكمال الدين عمـــر بـــن أحمـــد بن أبي جرادة ، دار الفكر بيروت الطبعة الأولى سنة ١٩٨٨، تحقيق : د.سهيل زكار).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قلعة حلب بين ابن جبير وابن بطوطة :

ذكـــر ابن بطوطة عندما تكلم عن قلعة حلب ، أن اسمها الشهباء [1] ، وأن هـــذا الاســـم يطلق أيضا على قلعة أخرى هي قلعة ماردين [٢] ، ثم ذكر مشابهة هذه القلعة لقلعة أخرى ، لعله شاهدها ، فقال : "وهذه القلعة تشبه قلعة رحـــبة مـــالك بن طوق التي على الفرات بين الشام والعراق"[3] . في حين لم يفعل ذلك ابن جبير .

ووصـــف ابـــن جبير "قلعة حلب" ، مبينا منزلتها وقدمها، وما بها من آثـــار إسلامية ، وما لها من قيمة تاريخية وطبيعية ، فقال : " لها قلعة شهيرة الامتناع ، بائنة الارتفاع ، معدومة الشبه والنظير في القلاع ، تنزهت حصانة أن ترام أو تستطاع " [٤] .

وقال : " إن من شرف هذه القلعة أنه يذكر أنها كانت قديما في الزمان الأول ربـــوة يـــأوي إليهـــا إبـــراهيم الخيل عليه وعلى نبينا الصلاة والتسليم بغنيمات له فيحلبها هناك ويتصدق بلبنها ، فلذلك سميت حلب والله أعلم . وبها مشـــهد كريم له ، يقصده الناس ويتبركون بالصلاة فيه . ومن كمال خلالها المشترطة في حصانة القلاع : أن الماء بها نابع ، وقد صنع عليه جبان فيهما نـــبعان مـــاء ، فـــلا تخاف الظمأ أبد الدهر ، والطعام يصبر فيها الدهر كله ، وليـــس فـــي شروط الحصانة أهم ولا آكد من هاتين الخلتين ، ويطيفه بهذين

---

(١) رحلة ابن بطوطة ج: ١ ص: ٨٧.

(٢) رحلة ابن بطوطة ج ٢ ص ٨١٨ .

(٣) رحـــلة ابن بطوطة ج: ١ ص: ٨٨. ورحبة مالك بن طوق بينها تقع بين الرقة وبغداد عـــلى شـــاطىء الفـــرات، أحدثهـــا مـــالك بن طوق بن عتاب التغلبي أبو كلثوم في خلافة المـــأمون، وكان مالك أميرا على دمشق للخليفة العباسي المتوكل(راجع : معجم البلدان ج: ٣ ص: ٣٤. والأعلام ج ٥ ص ٢٦٢) .

(٤) رحلة ابن جبير ج: ١ ص ١٧٧ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الجـبين المذكوريـن سوران حصينان من الجانب الذي ينظر للبلد ويعترض دونهمـا خـندق لا يكاد البصر يبلغ مدى عمقه ، والماء ينبع فيه ، وشأن هذه القلعة في الحصانة والحسن أعظم من أن ننتهي إلى وصفه ، وسورها الأعلى كله أبراج منتظمة ، فيها العلالي المنيفة ، والقصاب المشرفة ، قد تفتحت كلها طيقانا، وكل برج منها مسكون ، وداخلها المساكن السلطانية والمنازل الرفيعة الملوكية " [1]

أمـا ابـن بطوطة فقد وصف "قلعة حلب" ، ناقلا ذلك عن ابن جبير ، مـع تصـرف منه في بعض الوصف بناء على رؤيته المباشرة لهذه القلعة ، فقـال : " لها قلعة شهيرة الامتناع ، بائنة الارتفاع [2] تنزهت حصانة من أن تـرام أو تستطاع[3] ، منحوتة الأجزاء ، موضوعة على نسبة اعتدال واستواء [4] ، قد طاولت الأيام والأعوام ، ووسعت [5] الخواص والعوام"[6].

ثـم وصـف ابن بطوطة ما بداخل القلعة فقال : "وبداخلها جبلان ينبع منهما الماء ، فلا تخاف الظمأ، ويطيف بها سوران ، وعليها خندق عظيم ينبع مـنه المـاء ، وسـورها متداني الأبراج ، وقد انتظمت بها العلالي العجيبة ، المفتحة الطيقان ، وكل برج منها مسكون ، والطعام لا يتغير بهذه القلعة على

---

(١) رحلة ابن جبير ج: ١ ص: ١٧٨ .

(٢) زاد ابن جبير في رحلته ج ١ ص ١٧٧ قوله : (معدومة الشبه والنظير في القلاع).

(٣) زاد ابـن جبير ج ١ ص ١٧٨ في رحلته قوله : (قاعدة كبيرة ، ومائدة من الأرض مستديرة) .

(٤)زاد فـي رحـلة ابـن جبير ج ١ ص ١٧٨ قوله: (فسبحان من احكم تقيدرها وتدبيرها وابدع كيف شاء تصويرها وتدويرها عتيقة في الازل حديثة وإن لم تزل) .

(٥) عند ابن جبير ج ١ ص ١٧٨ (وشيعت) .

(٦) وزاد ابـن جـبير ج ١ ص ١٧٨ (هـذه منازلها وديارها فأين سكانها قديما وعمارها وتلك دار مملكتها وفناؤها ، فـ).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

طـــول العهـــد ، وبهـــا مشهد يقصده بعض الناس [1] . يقال : إن الخليل عليه السلام كان يتعبد به" [2] .

ثـــم بيـــن ابـــن بطوطة أهمية القلعة السياسية وأثرها في دفع التتار ، فقـــال: "ولمـــا قصـــد قازان طاغية التتر مدينة حلب حاصر هذه القلعة أياما ونكص عنها خائبا "[3].

ويتضح من نص ابن جبير وابن بطوطة السابقين ما يلي :

أولا : ترك ابن بطوطة بعض العبارات التي ذكرها ابن جبير ، مثل : (معدومـــة الشـــبه والـــنظير في القلاع) [4] ، و (قاعدة كبيرة ، ومائدة من الأرض مســـتديرة) [5] ، و(فسبحان من أحكم تقديرها وتدبيرها وأبدع كيف شـــاء تصـــويرها وتدويـــرها عتيقة في الأزل حديثة وإن لم تزل)[6] ، و(هذه مـــنازلها وديارهـــا فـــأين سكانها قديما وعمارها وتلك دار مملكتها وفناؤها ، فـــ)[7]. و(وداخلها المساكن السلطانية والمنازل الرفيعة الملوكية)[8] .

---

(١) قـــال ابن جبير ج ١ ص ١٧٨ :"وبها مشهد كريم له يقصده الناس ويتبركون بالصلاة فيه" .

(٢) رحـــلة ابن بطوطة ج: ١ ص: ٨٧. وقال ابن جبير ج ١ ص ١٧٨ ، ١٧٩ : " إن من شرف هذه القلعة انه يذكر أنها كانت قديما في الزمان الأول ربوة يأوى إليها إبراهيم الخيل عـــليه وعـــلى نبيـــنا الصلاة والتسليم بغنيمات له فيحلبها هناك ويتصدق بلبنها فلذلك سميت حلب والله أعلم ".

(٣) رحلة ابن بطوطة ج:١ص: ٨٨ .

(٤) رحلة ابن جبير ج ١ ص ١٧٧ .

(٥) رحلة ابن جبير ج ١ ص ١٧٨ .

(٦) رحلة ابن جبير ج ١ ص ١٧٨.

(٧) رحلة ابن جبير ج ١ ص ١٧٨

(٨)رحلة ابن جبير ج١ ص ١٧٩.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ثانيـــا : بـــدل ابن بطوطة بعض الكلمات التي قالها ابن جبير ، مثل : كـــلمة (ووســـعت) بدلا من (وشيعت) [1] . و(العجيبة) بدلا من (المنيفة) [2] . ولعـــل عـــدم التـــنقيط في النسخ الخطية القديمة ، وقرب المعنى قد دفعا ابن بطوطة إلى هذا التغيير .

ثالثا : لم يذكر ابن جبير اسم القلعة ، لكن ابن بطوطة ذكره ، فقال : "وقلعة حلب تسمى الشهباء "[3] . فلعل كلمة (الشهباء) لم تصل إلى ابن جبير.

رابعـــا : اختـــلف ابـــن جبير وابن بطوطة في المشهد الذي يقصده الـــناس في هذه القلعة، فابن جبير يرى أن الناس قصدته للتبرك به والصلاة فيـــه ، في حين يرى ابن بطوطة أن الناس تقصده دون تحديد عملهم فيه أهو للتـــبرك أم للصـــلاة فيـــه ، غير أنه قال : "يقال : إن الخليل عليه السلام كان يتعبد به"[4] . مع ملاحظة أن كلمة (مشهد) تسمية شيعية .

خامســـا : أكـــد ابـــن جبير أن حصانة القلعة تتمثل في وجود الماء العـــذب والهـــواء الـــنقي الـــذي لا يفسد الطعام ، وهما الشرطان الأساسيان للحصـــانة ، أمـــا ابن بطوطة فتكلم عن الماء والهواء دون تحديد أنهما شرطا الحصـــانة ، كما أن ابن جبير ركز على مكان وجود الماء ، فقال هما جبان ، فـــي حين قال عنهما ابن بطوطة إنهما جبلان ، ولعل ابن جبير هو الأصح ؛ لأنـــه قـــال :" إن الماء بها نابع ، وقد صنع عليه جبان فيهما نبعان ماء" ، فلو

---

(١) رحلة ابن جبير ج ١ ص ١٧٨.

(٢) رحلة ابن جبير ج ١ ص ١٧٨.

(٣) رحلة ابن بطوطة ج: ١ ص: ٨٧.

(٤) رحـــلة ابن بطوطة ج: ١ ص: ٨٧. وقال ابن جبير ج ١ ص ١٧٨ ، ١٧٩ : " إن من شرف هذه القلعة انه يذكر أنها كانت قديما في الزمان الأول ربوة يأوى إليها إبراهيم الخيل عـــليه وعـــلى نبيـــنا الصلاة والتسليم بغنيمات له فيحلبها هناك ويتصدق بلبنها فلذلك سميت حلب والله أعلم ".

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كـان المـاء مـن جبلين لاشتهر ذلك ، لكنه ربما كان تصحيفا في نسخة ابن بطوطة ، أو أن اللام في كلمة (جبلين) زائدة .

وقد أشار ياقوت الحموي إلى أن حلب من الإقليم الرابع ضمن الأقاليم السبعة ، وهي أفضل الأقاليم "وأصحها هواء ، وأعذبها ماء"[1] .

سادسا : استرسل ابن جبير في وصف السورين الملحقين بنبعي الماء ، فقال : "ويطيف بهذين الجبين المذكورين سوران حصينان من الجانب الذي ينظر للبلد ويعترض دونهما خندق لا يكاد البصر يبلغ مدى عمقه والماء ينبع فيه" في حين اقتضب ابن بطوطة في الوصف ، فقال: " ويطيف بها سوران ، وعليها خندق عظيم ينبع منه الماء" .

سابعا : ذكر ابن بطوطة مشابهة هذه القلعة لقلعة أخرى ، لعله شاهدها ، فقال : " وهذه القلعة تشبه قلعة رحبة مالك بن طوق التي على الفرات بين الشام والعراق"[2]، لكنه لم يذكر وجها للشبه ، إلا أنه يمكن استنتاج أنها كانت قلعة حصينة ، حيث استعصت على غازان ملك التتار ، فلم يستطع دخولها ، ومعلوم أن قلعة رحبة مالك بن طوق بنيت على شاطئ الفرات ، وعرف بالدقة والحصانة [3].

ثامنا : بين ابن بطوطة أهمية القلعة السياسية وأثرها في دفع التتار، فقال : "ولما قصد قازان[4]طاغية التتر مدينة حلب حاصر هذه القلعة أياما ونكص عنها خائبا "[5]. ولم يتعرض ابن جبير لذلك بشكل مباشر .

---

(١) ياقوت الحموي : معجم البلدان ج ٢ ص ٢٨٤.

(٢) رحلة ابن بطوطة ج: ١ ص: ٨٨. .

(٣) الأعلام ج ٥ ص ٢.

(٤) هو غازان خان حفيد هولاكو .

(٥) رحلة ابن بطوطة ج:١ص: ٨٨. وذكر ياقوت في معجم البلدان ج: ٥ ص: ٣٢٠:أن عجائب الدنيا ثلاث :.... منها : قلعةحلب .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تاســعا : في الوقت الذي اهتم فيه ابن جبير ببيان حصانة القلعة من الــناحية الماديــة، تكلم ابن بطوطة عن حدث يؤكد هذه الحصانة ، فتكلم عن امتــناع هــذه القلعة عن التتار ، وهزيمتهم أمامها ، وكأن الاثنين تكاملا في عرض صورة القلعة وحصانتها بالجانبين النظري والعملي .

أسواق حلب بين ابن جبير وابن بطوطة :

رأى ابــن جــبير أن أســواق حلب واسعة وكبيرة ومتصلة الانتظام ومســتطيلة ، وكــل صــنعة من الصنائع لها مكان يجمعها ، والأسواق كلها مســقوفة ، وســكان حلب بسبب هذه الحالة يعيشون في ظلال وارفة ، وحياة رغــدة ، وأغلب الحوانيت (الدكاكين) تعد مخازن خشب . فقال : " وأما البلد فموضــوعه ضــخم جــدا ، حفيل التركيب ، بديع الحسن، واسع الأسواق ، كبيرها ، متصلة الانتظام ، مستطيلة تخرج من سماط صنعة إلى سماط صنعة أخــرى ، إلى أن تفــرغ من جميع الصناعات المدنية وكلها مسقف بالخشب، فســكانها فــي ظلال وارفة ، فكل سوق منها تقيد الأبصار حسنا ، وتستوقف المستوفز تعجبا"[1].

ويــتفق ابــن بطوطــة مــع ابن جبير في وصف الأسواق بالاتساع والانتظام وكونها مسقوفة بالخشب، وأن أهلها في عمل دائم فيقول : "وهي من أعــز الــبلاد الــتي لا نظير لها في حسن الوضع ، وإتقان الترتيب، واتساع الأســواق ، وانــتظام بعضها ببعض ، وأسواقها مسقفة بالخشب ، فأهلها دائما في عمل ممدود"[2].

=وذكــر ابــن العماد أنه "في سنة ثلاثين وخمسمائة كبس عسكر حلب بلاد الفرنج بالساحل فأسروا وسبوا وغنموا وشرع أمر الفرنج يتضعضع" (شذرات الذهب ج: ٢ ص: ٩٤).

(١) رحلة ابن جبير ج: ١ ص ١٧٨ : ١٧٩..

(٢) رحلة ابن بطوطة ج: ١ ص ٨٨ ..

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ويتضح من وصف ابن جبير وابن بطوطة لأسواق حلب عدة أمور :

أولا : كنى ابن جبير عن عمل سكان حلب ونشاطهم المستمر بقوله " فســكانها فــي ظلال وارفة"، في حين صرح ابن بطوطة بقوله : "فأهلها دائما في عمل ممدود" ، وهذا يدل على وفرة الأسواق ، وانتعاش الحركة التجارية.

ثانيــا : أن الحياة الاقتصادية في حلب زمن ابن جبير (القرن السادس الهجــري) كــانت مســتقرة ، وكذلــك كانت زمن ابن بطوطة (القرن الثامن الهجري) ، وهذا يشيروا إلى استمرار الاستقرار الاقتصادي في هذه المدينة ، وانتعاشها .

ثالــثا : انتظام الأسواق في حلب يشير إلى طبيعة السكان الشخصية ، فالأســواق كمــا أنها علامة على الجانب الاقتصادي ، فهي أيضا علامة على الجانب الاجتماعي ، فالسلوك الاجتماعي فيما يبدو كان سلوكا حضاريا .

رابعــا : تنسيق الأسواق في حلب ، وكذلك استمرار عمل أهلها يشير إلى الإبــداع الــذي يتسم به سكان حلب ، وهذا يجعلها مؤهلة لتكون عاصمة للثقافة منذ ردح من الزمان .

خامســا : إذا كــانت الحوانيت مخازن للخشب ، فهذا يشير إلى كثرة البســاتين ، وهــذا ما أكده ابن بطوطة في رحلته من استمرار الأشجار حول النهر الذي يتصل بحلب .

ســادســا : رســم ابن جبير وكذا ابن بطوطة صورة موجزة للحياة الاقتصــادية فــي حلب ، حين تكلما عن الأسواق وانتظامها، وكونها مفتوحة دائما ، ومسقوفة ، مما يشير إلى انتعاش الحياة الاقتصادية في حلب ، وأغلب الظــن أنهم كانوا يعملون بالمنتجات الزراعية أولا ، ثم بالصناعات الأخرى ، لأن حــلب تملــك من المقومات الطبيعية ما يؤهلها لإنتاج محاصيل زراعية جيدة .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أشـــهرها خان السبيل وخان الحرير وخان إسطنبول وخان الشوربجي، وكثرة الخانات في حلب دليل واضح على ازدهار الحركة التجارية(نجزة).

قيسارية حلب بين ابن جبير وابن بطوطة :

قـــال ابن جبير عن قيسارية حلب ، وهي المبنى المخصص لاستقبال القوافـــل الـــتجارية والمسافرين فيها : " وأما قيساريتها فحديقة بستان ، نظافة وجمـــالا ، مطيفة بالجامع المكرم ، لا يتشوق الجالس فيها مرأى سواها ، ولو كان من المرائي الرياضية " (2).

وقـــال ابن بطوطة : " وقيساريتها لا تماثل حسنا وكبرا ، وهي تحيط بمسجدها ، وكل سماط منها محاذ لباب من أبواب المسجد " (3).

ويتضح من الوصفين السابقين ما يلي :

أولا : اتفـــق ابن جبير وابن بطوطة على أن المبنى الذي يعد لاستقبال القوافـــل الـــتجارية والأضياف متصل بالمسجد الجامع ، وهذه أول ميزة لهذا المبـــنى ، وتشـــير إلى أن المكـــان الـــذي تهيأ للتجار مناسب ، ويذكر بالله ، وبضرورة المعاملة الحسنة ، وهذا من دلائل حسن اختيار المكان .

ثانيا : وصف ابن جبير يشير إلى أنه جلس في القيسارية وعاينها عن قـــرب ، فـــرأى الـــنظافة ، واستشعر الأنس حين جلس فيها ، أما وصف ابن بطوطة فيشير إلى أنه عاينها فقط .

---

(١)محمـــد أبـــو الفـــرج العشـــي وعـــبد القـــادر الريحاوي، المعالم الأثرية والمتاحف في الجمهورية العربية السورية ص٢٦٤. بحث في كتاب المعالم الأثرية في البلاد العربية جـــ ٢، إصدار المنظمة العربية للتربية والثقافة، والعلوم، القاهرة، ١٩٧٢م.

(٢) رحلة ابن جبير ، ص ١٧٨، ١٧٩.

(٣) رحلة ابن بطوطة ج: ١ ص ٨٨ ..

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ويؤكـد ذلك ما قاله ابن حوقل عن حلب :"وكان بها أسواق وحمامات وفـنادق كـثيرة ومحال وعراص فسيحة" [1].وقال ناصر خسرو : " ولم تزل أسـعارها فـي الأغذيـة قديما ، وجميع المآكل والمشارب واسعة رخيصة ، والأوزان بسـوقها بالـرطل الظاهري " [2]. وقال ابن العديم : " ومن عجائب حـلب أن قيسارية [3].البز عشرين دكانا للوكلاء ، يبيعون فيها كل يوم متاعا قدره عشرون ألف دينار ، مستمر ذلك منذ عشرين سنة إلى الآن"[4].

لقـد عـرفت حـلب بأسـواقها المتـنوعة التي سميت بأسماء الحرف والصـناعات الـتي كـانت قائمـة في المدينة ومنها سوق النحاسيين وسوق العطـارين وسـوق الحدادين، وسوق البن، وسوق الجمال، وسوق الحرير، وسـوق الحصـارين، وسـوق الخابية، وسوق الخشابين، وسوق الخضرية، وسوق الخيل، وسوق الزجاجين، وسوق الصباغين الذين كانوا يقومون بصبغ الأقمشـة، وسـوق الصرمايات ويسمى القوا فخانة، وتصنع في هذا السوق وتـباع الأحذية الحلبية التقليدية والمعروفة باسم الصرماية وتكون حمراء أو صـفراء، وسـوق الصياغ، ويوجد في حلب سوقان للصياغ، وفيها الآن عدة أسواق للصياغ. وكان نتيجة ازدهار التجارة أن انتشرت الخانات بحلب ومن

---

(١) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ١٦٣، ١٦٤ ..

(٢) ناصـر خسرو : سفرنامه ، ص ٤٥ . والرطل الظاهري : هو الذي اعتمد أيام الظاهر لإعزاز دين الله (٤١١-٤٣٧هـ) .

(٣) القيسـارية : مبـنى مكـون مـن عـدة طوابق ، مخصص لاستقبال القوافل التجارية والمسـافرين ، ويستعمل أحيانا كمبنى تجاري . راجع : محمد ضامن : إمارة حلب في ظل الحكم السلجوقي ، ص ٣٢١ .

(٤) رحلة ابن بطوطة ج: ١ ص ٨٨ ..

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ثالـــثا : يتضح من كلام ابن جبير أيضا أن المباريات الرياضية كانت لهـــا قيمـــة في القرن الخامس الهجري ، لدرجة أنه يوازن بينها وبين المنظر الجميل الذي يراه .

المسجد الجامع في حلب بين ابن جبير وابن بطوطة :

قـــال ابـــن جبير : "الجامع المكرم ، وهذا الجامع من أحسن الجوامع وأجمـــلها قـــد أطاف بصحنه الواسع بلاط كبير متسع مفتح كله أبوابا قصرية الحســـن إلى الصحن عددها ينيف على الخمسين بابا فيستوقف الأبصار حسن منظرها وفي صحته بئران معينتان والبلاط القبلي لا مقصورة فيه فجاء ظاهر الاتساع رائق الانشراح وقد استفرغت الصنعة القرنصية جهدها في منبره فما أرى فـــي بـــلد مـــن البلاد منبرا على شكله وغرابة صنعته واتصلت الصنعة الخشبية منه إلى المحراب فتحللت صفحاته كلها حسنا على تلك الصفة الغريبة وارتفـــع كالـــتاج العظيـــم على المحراب وعلا حتى اتصل بسمك السقف وقد قـــوس أعـــلاه وشـــرف بالشرف الخشبية القرنصية وهو مرصع كله بالعاج والابـــنوس واتصال الترصيع من المنبر الى المحراب مع ما يليهما من جدار القبـــلة دون أن يتـــبين بينهما انفصال فتجتلى العيون منه أبدع منظر يكون في الدنيا وحسن هذا الجامع المكرم أكثر من أن يوصف " .

وقـــال ابـــن بطوطـــة : " ومسجدها الجامع من أجمل المســـاجد في صـــحنه بـــركة ماء، ويطيف به بلاط عظيم الاتساع ، ومنبرها بديع العمل ، مرصع بالعاج والأبنـــوس " [1] .

ويلاحـــظ على الوصفين السابقين للمسجد الجامع ، فدخل إلى صحنه ليصـــف بلاطـــه وأبوابه التي نيفت على الخمسين ، وتوقف عند بئري الماء ،

---

(١) رحلة ابن بطوطة ج: ١ ص: ٨٨.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وعـــاين المنبر فوصفه بدقة ، كما عاين المحراب ، ودقق في طريقة صنعه ، وعاين القبلة التي تتجلى مع المنبر والمحراب في أبدع منظر .

أمـــا ابن بطوطة فاكتفى بذكر المسجد الجامع وبركة الماء في صحنه وبلاطه المتسع ومنبره البديع المرصع بالعاج والأبنوس .

وهذا يدل على أن ابن جبير ركز في زياراته لهذا المسجد ، وطبع في ذاكـــرته كـــل ما شاهده ، وهنا نلحظ الفرق بين الرحالتين في نقل المعلومة ، فهـــذا اهـــتم بالتفاصـــيل الدقيقة ، وربما تعايش بإحساسه معها ، وهذا اكتفى بوصف مجرد قريب .

لقـــد بُنِي جامع حلب الكبير في العهد الأموي على هيئة جامع دمشق في أيـــام الخليفة سليمان بن عبدالملك، ثم تهدم أكثر من مرة، كانت الأولى حين غزا الإمبراطور "نقفور فوكاس" مدينة حلب وخربها، والأخيرة كانت على يد تيمورلـــنك، وجدد في العهد المملوكي. وأقدم شيء فيه مئذنته الرائعة، وهي مـــربعة الشـــكل شـــيدت فـــي عـــام ١٠٩٠م، ويشتهر أيضاً بمنبره الخشبي المصـــنوع من خشب الأبنوس المطعم بالعاج، صنع في أيام السلطان الناصر محمد بن قلاوون في القرن ٨هـــ/ ١٤م. [١] .

وفـــي حـــلب كـــثير من المساجد أهمها جامع الأطروش الغني بواجهاته المبنية بالحجر المنحوت وهو من العهد المملوكي، ثم جامع الخسروية وجامع العادية والبهرمية وهي من العهد العثماني، وفي القرن ١٠هـــ/ ١٦م تمثل فن العمارة العثماني بقبيباتها والقاشاني الذي يزين جدرانها[٢].

---

(١)محمـــد أبـــو الفـــرج العشـــي وعـــبد القـــادر الريحاوي، المعالم الأثرية والمتاحف في الجمهورية العربية السورية ص٢٦٤.

(٢)السابق .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مدارس حلب بين ابن جبير وابن بطوطة :

تحدث ابن جبير عن مدارس حلب فقال بعد كلامه عن المسجد الجامع: " وحسن هذا الجامع المكرم أكثر من أن يوصف ، ويتصل به من الجانب الغربي مدرسة للحنفية ، تناسب الجامع حسنا ، وإتقان صنعة ، فهما في الحسن روضة تجاور أخرى ، وهذه المدرسة من أحفل ما شاهدناه من المدارس بناء وغربة صنعة ، ومن أظرف ما يلحظ فيها أن جدارها القبلي مفتح ، كله بيوتا وغرفا ، لها طيقان ، يتصل بعضها ببعض ، وقد امتد بطول الجدار عريش كرم مثمر عنبا ، فحصل لكل طاق من تلك الطيقان قسطها من ذلك العنب ، متدليا أمامها ، فيمد الساكن فيها يده ، ويجتنيه متكئا ، دون كلفة ولا مشقة ، وللبلدة سوى هذه المدرسة نحو أربع مدارس أو خمس" [1] .

وقال ابن بطوطة عن مدارس حلب فقال : "وبقرب جامعها مدرسة مناسبة له في حسن الوضع وإتقان الصنعة ، ينسب لأمراء بني حمدان ، وبالبلد سواها ثلاث مدارس " [2] .

ويتضح من كلام ابن جبير وابن بطوطة الأمور التالية :

أولا : حدد ابن جبير أن عدد مدارس حلب يتراوح بين خمس وست مدارس ، في حين ذكر ابن بطوطة أنها أربع مدارس فقط ، وفي تحديد ابن بطوطة للعدد كان جازما ، في حين أن ابن جبير قال : "وللبلدة سوى هذه المدرسة نحو أربع مدارس أو خمس" [3] . مما يشير إلى أن ابن بطوطة ربما يكون قد رآها جميعا .

---

(١) رحلة ابن جبير ، ص ١٧٨.

(٢) رحلة ابن بطوطة ج: ١ ص: ٨٨.

(٣) رحلة ابن جبير ، ص ١٧٨.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ثانيا : اسنرسل ابن جبير في وصف إحدى مدارس حلب ، وهي المدرسة القريبة من المسجد الجامع ، في حين اكتفى ابن بطوطة بمقارنة حسن هذه المدرسة بحسن صنعة المسجد الجامع .

ثالثا : أعطى ابن جبير رأيه بدقة في المدرسة من حيث الوصف المعماري ، ثم حدد طبيعة عمل هذه المدرسة ، وهو أنها لتدريس المذهب الحنفي ، في حين أن ابن بطوطة لم يشر إلى ذلك .

رابعا : بين ابن جبير ما يحيط بالمدرسة الكبرى في حلب من منازل ونباتات ، واتضح من كلامه أنه عايش هذه المدرسة ، وذكر باللفظ أنه شاهدها فقال : "وهذه المدرسة من أحفل ما شاهدناه من المدارس بناء وغربة صنعة " ، ولم يفعل ذلك ابن بطوطة .

خامسا : استحسن ابن جبير بعض المظاهر المتصلة بمدرسة حلب ، فقال : "ومن أظرف ما يلحظ فيها أن جدارها القبلي مفتح ... " [1]، ولم نجد هذا عند ابن بطوطة .

سادسا : ذكر ابن بطوطة أن المدرسة المتصلة بالمسجد الجامع منسوبة إلى الحمدانيين ، ولم يحدد ابن جبير هذه النسبة .

سابعا : إن وجود عدد من المدارس في حلب زمن ابن جبير ، وكذلك زمن ابن بطوطة يشير إلى النهضة الثقافية التي شهدتها هذه المدينة ، وعلى الرغم من أن ابن جبير وابن بطوطة لم يتكلما عن العلوم التي كانت تدرس في مدارس حلب ، ولا عن المعلمين الذين قاموا بالتدريس فيها ، إلا أنه يمكن القول من خلال ما ساقه ابن جبير من أن المدرسة المتصلة بالمسجد الجامع "كانت للحنفية" أي أنها تدرس المذهب الحنفي ، وكذلك ما ذكره ابن بطوطة في مواطن أخرى من رحلته عن تعدد الفقهاء في حلب وتعدد مذاهبهم من

---

(١) رحلة ابن جبير ، ص ١٧٨.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مالكية وحنفية وشافعية وحنبلية ، فضلا عما عرف عن الحمدانيين من تشيع ، كل هذا يشير إلى أن المذاهب الفقهية كانت ضمن مواد الدراسة في هذه المدارس ، ولعل كل مدرسة كانت مخصصة لتدريس مذهب من هذه المذاهب. وأن المذهب الحنفي كان سائدا زمن ابن جبير في القرن السادس الهجري .

ومن أهم المدارس في حلب زمن ابن جبير : **المدرسة الشاذ بختية :** أنشأها الأمير جمال الدين شاذ بخت الهندي الأثايكي، وذلك تلبية لأمر نور الدين محمود سنة ٥٨٩هـ/ ١١٩٣م، على مدخلها (١) الرئيسي الذي يقع في مقابلة إيوان القبلة. ولما تم بناؤها استدعى الأمير جمال الدين شاذ بخت، العلامة نجم الدين مسلم بن سلامة من سنجار ليتولى التدريس بها، وتقع المدرسة في السوق المعروفة باسم سوق العزب، وهي تعرف حالياً باسم جامع المعروف (٢).

والمدرسة الجوانية : من المدارس ذات الإيوانين بحلب المدرسة الجوانية أو السلطانية التي بدأ في تأسيسها الملك الظاهر بن صلاح الدين، إلا أنه تُوُفِّي سنة ٦١٣هـ قبل إتمامها، وبقيت مدة بعد وفاته حتى شرع في تكملتها شهاب الدين طغرل أتابك الملك العزيز فعمرها وأكملها سنة ٦٢٠ هـ/ ١٢٢٣م(٣).وقد كانت مدرسة مشتركة فقد خصصت لتدريس مذهبي الشافعية والحنفية، وقد درس بها القاضي بهاء الدين بن شداد، وولي نظرها القاضي زين الدين أبو محمد عبد الله الأسدي قاضي قضاة حلب .

---

(١)أسعد طلس، الآثار الإسلامية والتاريخية في حلب ص٧٣.

(٢)سعاد ماهر محمد، العمارة الإسلامية على مر العصور، ص٥١٤، جـ٢، دار البيان العربي، جدة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م..

(٣)السابق .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قضاة حلب :

لـــم يتكلم ابن جبير عن قضاة حلب ، أما ابن بطوطة فقال : " القضاة بحـــلب أربعة للمذاهب الأربعة ، فمنهم القاضي كمال الدين بن الزملكاني [1]، شـــافعي المذهـــب وعالي الهمة ، كبير القدر ، كريم النفس ، حسن الأخلاق ، متفـــنن بالعـــلوم ....' ومـــن قضاة حلب قاضي قضاة الحنفية الإمام المدرس ناصر الدين بن العديم [2] ، حسن الصورة والسيرة ، أصيل مدينة حلب ، تراه إذا مـــا جئته متهللا كأنك تعطيه الذي أنت سائله ، ومنهم قاضي قضاة المالكية لا أذكـــره كـــان من الموثقين بمصر وأخذ الخطة على غير استحقاق ، ومنهم قاضـــي قضـــاة الحنابـــلة لا أذكر اسمه وهو من أهل صالحية دمشق ونقيب الأشراف بحلب بدر الدين بن الزهراء ، ومن فقهائها شرف الدين بن العجمي وأقاربه هم كبراء مدينة حلب [3]

ويشـــير وجـــود هذا العدد من القضاة بمذاهبهم الفقهية المختلفة الذين ذكـــرهم ابن بطوطة إلى ازدهار الحركة الثقافية والفكرية في حلب في القرن الـــثامن الهجـــري ، وانتشار العلم والاهتمام به ، فضلا عن التزام أهل حلب بتطبيق أحكام الشريعة الإسلامية .

---

(١) محمـــد بن على بن عبد الواحد الأنصاري الدمشقى ابن الزملكانى كمال الدين ، ولد في شـــهر شـــوال سنة ٦٦٧ هـــ ، وكان فصيح القراءة سريعها له خبرة بالمتون والفقه ، وهو أحـــد المـــتقدمين في الفتاوى والتدريس والمجالس والمرجوع إليهم في المناظرة وكان ذكى الفطـــرة نـــافذ الذهن فصيح العبارة وأطلق عليه الذهبى عالم العصر وكبير الشافعية .راجع ترجمته في : البدر الطالع ج: ٢ ص: ٢١٢ ، ٢١٣ .

(٢) ناصـــر الديـــن محمد بن القاضي كمال الدين أبي حفص عمر بن العديم بن أبي جرادة قاضي القضاة . راجع ترجمته في طبقات الحنفية ج: ١ ص: ٢١٣ .

(٣) رحلة ابن بطوطة ج: ١ ص ٨٨ : ٩٠.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مارستان (مستشفى) حلب بين ابن جبير وابن بطوطة :

ذكر ابن جبير أن لحلب " مارستانا "[1] ، وكذلك قال ابن بطوطة: "وبها مارستان " ، ولم يصفه ، ولعله لم يزره زيارة تجعله يتمكن من وصفه ، وربما لم يتذكر وصفه ، أو نقل ذلك عن ابن جبير الذي لم يصفه هو الآخر ، وواضح أن عدم وصف ابن جبير الذي عرف عنه الاسترسال في الوصف المعماري لكل مكان يزوره ، يدل على عدم زيارته لهذا المكان ، وهذا يتوافق مع طبيعة المكان ، وصحة الأجواء التي تجعل مهمة المارستان تكون قليلة .

خارج مدينة حلب بين ابن جبير وابن بطوطة :

قال ابن جبير عن مدينة حلب : " أمرها في الاحتفال عظيم ، فهي بلدة تليق بالخلافة ، وحسنها كله داخل لا خارج لها ، إلا نهير يجري من جوفيها إلى قبيلها ، ويشق ربضها المستدير بها ، فإن لها ربضا كبيرا ، فيه من الخانات ما لايحصى عدده ، وبهذا النهر الأرحاء ، وهي متصلة بالبلد ، وقائمة وسط ربضه ، وبهذا الربض بعض بساتين تتصل بطوله ، ويكف ما كان الأمر فيه داخلا وخارجا ، فهو من بلاد الدنيا التي لا نظير لها ، والوصف فيه يطول ، فكان نزولنا بربضه في خان يعرف بخان ابي الشكر ، فأقمنا به أربعة أيام ورحلنا ضحوة يوم الخيمس السابع عشر لربيع المذكور والثامن والعشرين ليونية " . ووصلنا قنسرين قبيل العصر "[2] .

ووصف ابن بطوطة خارج مدينة حلب ، فوصف المزارع والبساتين حولها ، فقال : "وأما خارج المدينة فهو بسيط أفيح عريض به المزارع العظيمة وشجرات الأعناب منتظمة به والبساتين على شاطئ نهرها " [3] . ثم

---

(١) رحلة ابن جبير ، ص ١٧٨.

(٢) رحلة ابن جبير ، ص ١٧٨.

(٣) رحلة ابن بطوطة ج: ١ ص: ٨٨ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

علق ابن بطوطة على هذا المشهد قائلا : " والنفس تجد في خارج مدينة حلب انشـــراحا وســـرورا ونشـــاطا لا يكون في سواها وهي من المدن التي تصلح لـــلخلافة" [1] . ولما تكلم عن النهر قال :"وهو النهر الذي يمر بحماة ويسمى العاصـــي وقيـــل : إنه سمي بذلك لأنه يخيل لناظره أن جريانه من أسفل إلى علو " [2] .

ومن خلال كلام ابن جبير وابن بطوطة تتضح الأمور التالية :

أولا : يرى ابن جبير أن حلب متصلة المنازل ، وبالتالي فحسنها يعد فيهـــا من الداخل ، وليس خارجا عنها ، ويجعل من النهر المتصل بها صورة للحســـن يضفيها النهر على المدينة ، أما ابن بطوطة ، فيخرج عن حلب ، ثم يـــنظر إليها من خارجها ، ويصف حسنها ، وما يتصل بها من أنهار وبساتين تزيد هذه البلد روعة وجمالا .

ثانيـــا : اتفق ابن جبير وابن بطوطة على أن حسن حلب (من الداخل أو الخارج) جعلها حقيقة بأن تكون دار خلافة ومنازل إمارة .

ثالـــثا : نـــلحظ فـــي كلام ابن بطوطة وصفا لحالته النفسية حين رأى المديـــنة وخارجهـــا ، حيث قال : "والنفس تجد في خارج مدينة حلب انشراحا وسرورا ونشاطا لا يكون في سواها". في حين لم نلحظ ذلك الوصف عند ابن جبير الذي كانت حالته النفسية واضحة وهو بالمسجد الجامع ، أو بالقيسارية، أو بالمدرســـة الحنفية،ولعل سبب ذلك أن ابن جبير انصرف من حلب دون أن يلتفت كثيرا لما كان خارجها.

رابعـــا : يلاحظ أن ابن جبير لم يذكر اسم النهر ، في حين ذكر ذلك ابـــن بطوطة ، علما بأن النهر المقصود اسمه (القويق) ، وهو يختلف عن نهر العاصي .

---

(١) رحلة ابن بطوطة ج: ١ ص: ٨٨ .

(٢) رحلة ابن بطوطة ج: ١ ص: ٨٨ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

خامســا : زاد ابن جبير في وصف النهر ، وإن كان قد ذكره بصيغة التصــغير (نهير)، إلا أنه تكلم عن الأرحاء التي تتصل بالنهر، وهذا فسر لنا قول ابن بطوطة :"يخيل لناظره أن جريانه من أسفل إلى علو".

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

خاتمة

زار ابــن جبير وابن بطوطة حلب ، فأما الأول فكان دقيقا في وصفه لحــلب ، وما يتعلق بها ، وأما الثاني فقد اهتم بنقل وصف الأول متصرفا فيه بــزيادة عبارات ونقص أخرى ، وربما انفرد بوصف ما ، غير أنه قد اتضح من خلال الدراسة المقارنة السابقة ما يلي :

أولا : اعــتمد ابن بطوطة في أغلب مادته العلمية عن حلب على ابن جــبير عــلى الــرغم من أن بينهما نحو قرنين من الزمان ، وهذه مدة زمنية كــبيرة ، إلا أنها تبين بشكل واضح أن حلب مدينة لا يعتريها التغير بسهولة ، فهــي تمــلك مــن مظاهــر أصالتها وعراقتها ، ما يجعلها تستمر على حالها سنوات عديدة .

ثانيا : اهتم ابن جبير بالجانب الفني والمعماري لحلب ، في حين كان اهــتمام ابــن بطوطــة بالجــانب الفكري لحلب أوسع ، من خلال كلامه عن الفقهاء، أو نقله لبعض الأشعار عن حلب ، وكلا الرحالتين رسما بذلك جوانب متعددة لثقافة حلب الشهباء .

ثالــثا : اتضــح مــن كلام ابن جبير وابن بطوطة عن حلب أن هذه المديــنة تحــتاج إلى مــزيد من الدراسة ، فإذا أضيفت الصورة التي رسمها الرحالتين إلى ما ذكره المؤرخون عن تاريخ حلب في ذلك العصر ؛ لظهر لنا بجــلاء واقــع حــلب مــن جميع النواحي السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية ، ولتبين لنا أن حلب قد سجلت حلقة من حلقات تكوينها الثقافي بشكل عميق .

وفــي الختام أرى أن رحلة ابن جبير وكذا رحلة ابن بطوطة تحتاجان إلى مــزيد مــن الدراســة المــتأنية للإفادة منهما في تسجيل بعض الأحداث الــتاريخية ، وجوانــب الحيــاة الاجتماعية والاقتصادية والفكرية والحضارية عموما .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أهم مراجع الدراسة

ابـــن بطوطة : محمد بن عبد الله بن محمد اللواتي أبو عبد الله(٧٠٣ هـــ) : تحفـــة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار مؤسسة الرسالة بيروت ، الطبعة الرابعة سنة ١٤٠٥ ، تحقيق : د. علي المنتصر الكتاني

ابن جبير : محمد بن أحمد بن جبير الأندلسي أبو الحسين (٦١٤هـــ)، رحـــلة ابـــن جـــبير ، دار الكتاب اللبناني ، دار الكتاب المصري ، بيروت ، مصر

ابن حوقل : صورة الأرض .

أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن أحمد (٨٥٢ هـــ) : الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العـــثمانية ، حيـــدر أبـــاد – الهـــند ، الطبعة الثانية سنة ١٩٧٢تحقيق : د.محمد عبد المعيد خان الدين الحمصي الشافعي وخلق كثير .

أسعد طلس :الآثار الإسلامية والتاريخية في حلب .

إسماعيل أبي الفدا : اليواقيت والضرب في تاريخ حلب المنسوب إلى إســـماعيل أبـــي الفدا ، تحقيق : محمد كمال وفالح البكور ، دار القلم العربي بحلب ، الطبعة الأولى ١٤١٠هـــ ، ١٩٨٩م .

الذهـــبي :محمـــد بـــن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي أبو عبد الله (٧٤٨هـــــ) : سير أعلام النبلاء ، مؤسسة الرسالة بيروت ، الطبعة التاسعة سنة ١٤١٣تحقيق : شعيب الأرناؤوط ، محمد نعيم العرقسوسي

الزركـــلي : خيـــر الديـــن الزركلي : الأعلام في التراجم ، دار العلم للملايين ..

سعاد ماهر محمد : العمارة الإسلامية على مر العصور، ، دار البيان العربي، جدة، ١٤٠٥هـــ/ ١٩٨٥م.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الشـــوكاني محمـــد بـــن علي الشوكاني(١٢٥٠هـــ) : البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع دار المعرفة .

غامـــر رشـــيد مبيض : أوراق الذهب فيما كتب عن حلب، دار غار حراء .

عـــبد الباقي بن قانع أبو الحسين (٣٥١هـــ) : معجم الصحابة، مكتبة الغرباء الأثرية ، المدينة المنورة ، سنة ١٤١٨هـــ ، الطبعة الأولى ، تحقيق : صلاح بن سالم المصراتي

عبد الحي بن أحمد العكري الدمشقي (١٠٨٩هـــ) : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

عـــبد الفتاح رواس قلعة جي: حلب القديمة والحديثة، مؤسسة الرسالة دمشق.

العـــدوي : الدكتور إبراهيم العدوي في كتابه : ابن بطوطة في العالم الإســـلامي ، سلســـلة اقرأ العدد ١٤٤ ، ١٥ ديسمبر ١٩٨٣م ، الطبعة الثالثة دار المعارف بالقاهرة .

كمـــال الديـــن عمـــر بن أحمد بن أبي جرادة : بغية الطلب في تاريخ حلب، دار الفكر بيروت ، الطبعة الأولى سنة ١٩٨٨ تحقيق : د.سهيل زكار

محمـــد أبـــو الفـــرج العشـــي وعبد القادر الريحاوي، المعالم الأثرية والمتاحف في الجمهورية العربية السورية. بحث في كتاب المعالم الأثرية في الـــبلاد العـــربية جـــ ٢، إصدار المنظمة العربية للتربية والثقافة، والعلوم، القاهرة، ١٩٧٢م.

محمد ضامن : إمارة حلب في ظل الحكم السلجوقي ، ص ٣٢١ .

ناصـــر خســـرو : ســـفرنامه ، دار الكتاب الجديد، بيروت ، سنة ١٩٨٣م ، الطبعة الثالثة ، تحقيق : د. يحيى الخشاب .

يـــاقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله (٦٢٦هـــ) : معجم البلدان دار الفكر بيروت .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

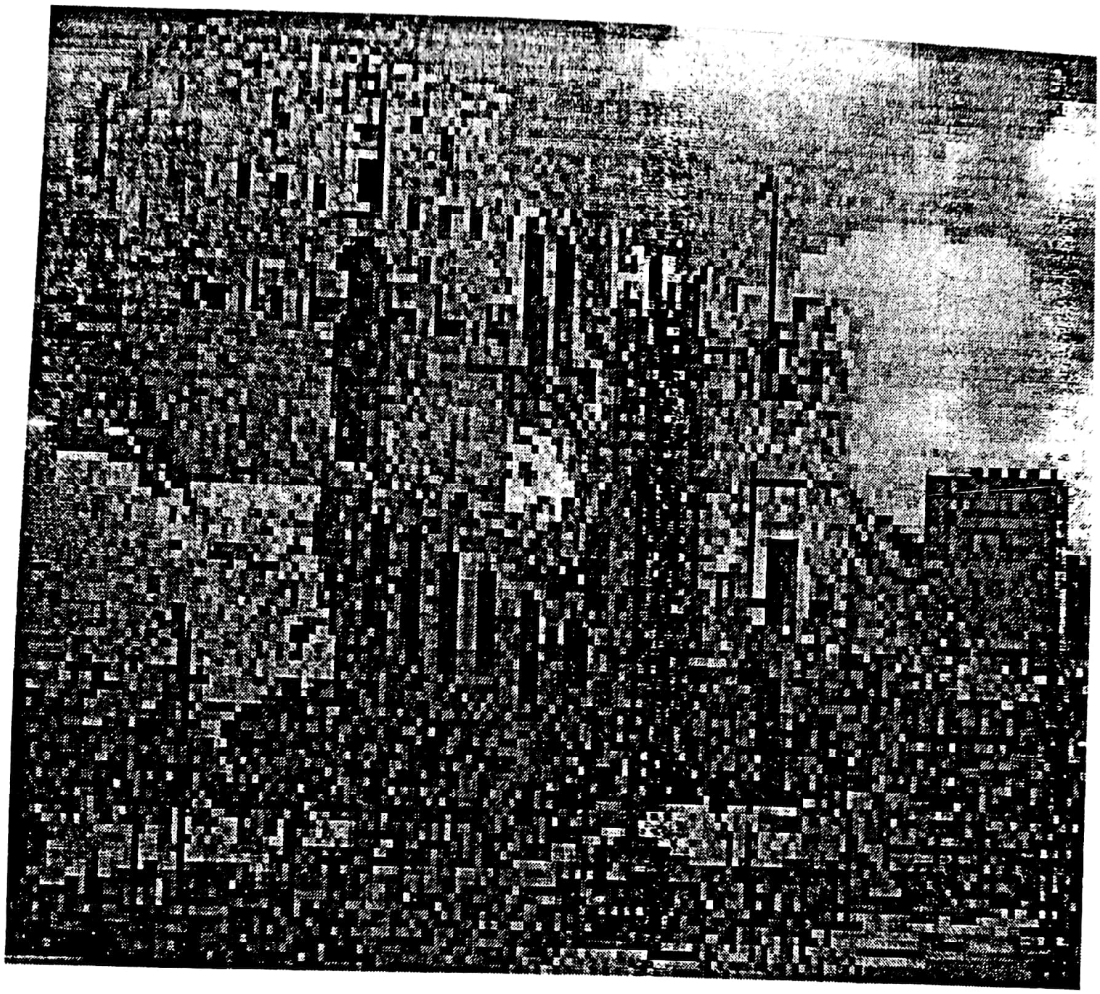

قلعة حلب

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

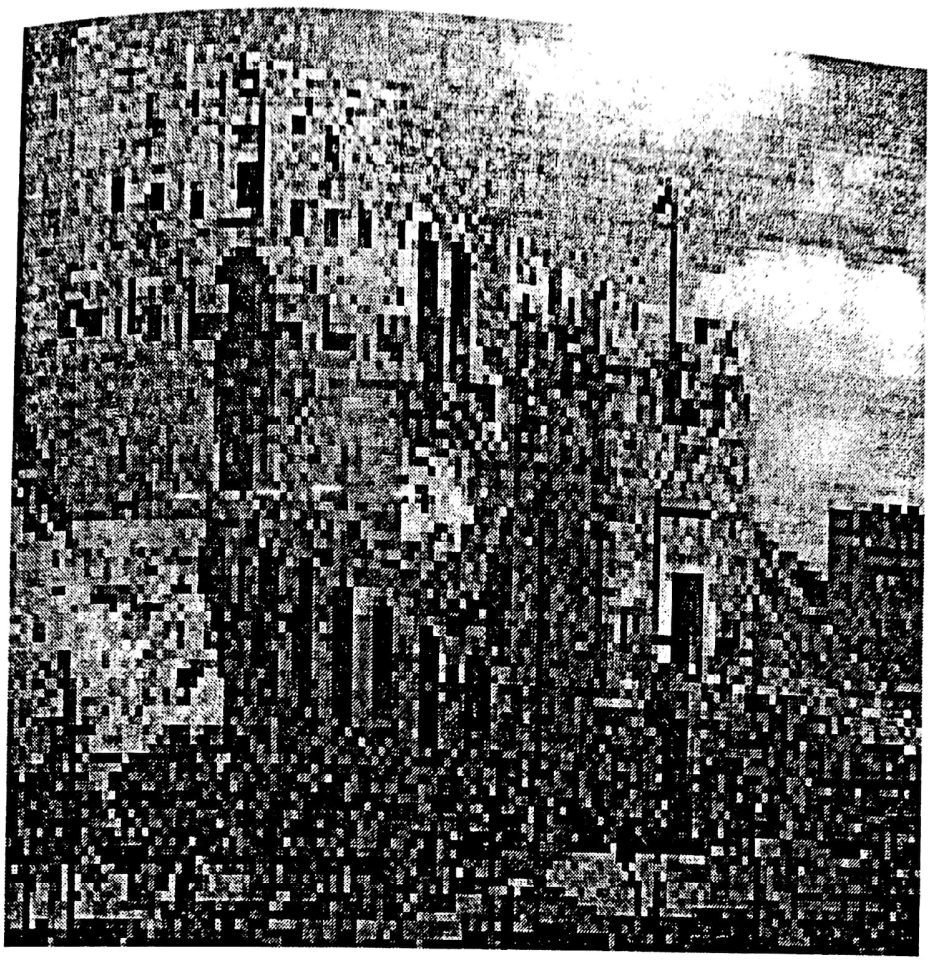

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner